رفاعة الذي يريد تخليص الناس من العفاريت:

صورة المسيح في رواية «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ

نعمان اسماعيل عبد القادر*

■ اختار نجيب محفوظ شخصية «رفاعة» لتلعب الدور الذي يشبه دور المسيح عيسى عليه السلام في الرواية، وجاء انتقاؤه لهذا الاسم بعد دراية بايمان الديانتين الاسلامية والمسيحية بأنه رُفع الى السماء قبل أو بعد موته. وسنرى ذلك في نهاية القصة. وأورد محفوظ قصة ولادة «رفاعة» بعيداً عن حيه الذي يسكن فيه والداه (عم شافعي النجار وزوجته عبدة) وهما من آل جبل والمقصود من (سلالة موسى) وربما أراد محفوظ ان يقول للناس ان عيسى هو بشر له أب وأم كغيره من البشر ومن يعتقد أنه ابن الله أو ابن مريم التي ولدته من غير أب انما هو مخطئ في اعتقاده، حيث غادرا الحارة متوجهين الى الخلاء ثم الى سوق المقطم ليفتح شافعي له دكان نجارة (وهنا اشارة واضحة الى يوسف النجار الذي ورد ذكره في الانجيل) ثم تلقي الأم باللائمة على الجبلاوي (الرب) فتقول: «آه لو صبرت يا معلم شافعي! ألم تسمعهم يقولون ان الجبلاوي لا بد أن يخرج يوماً من عزلته لينقذ أحفاده من الظلم والهوان؟» (1).

ثم ينتقل الكاتب نقلة زمنية طويلة فيكبر «رفاعة» خلالها ويعود مع أمه الى الحارة بعد عشرين عاماً أو يزيد.. ويفتح «شافعي» دكان نجارة يساعده ابنه فيه في تصليح أثاث البيوت. أخذ رفاعة يقضي وقته عند امرأة تدعى «أم بخاطرها» وتعمل في تخليص المسوسين من عفاريتهم وأحب رفاعة منها سماع حكايات أسرار العفاريت. اقترحت عليه أمه ذات يوم أن يتزوج من عيشة وهي ابنة زعيم الحارة، الا انه يرفض هذا الاقتراح. نزل العم شافعي صباحا ليفتح دكانه فلم يجد رفاعة كما توقع. فاستقل عربة كارو مع زوجته وتوجها الى سوق المقطم وبعد فترة من البحث عنه وجداه وهو عائد في استحياء الى الحارة من الخلاء. ثم يخبرهم أنه مشى في الظلام حتى تعب وأسند ظهره الى سور البيت الكبير، ثم سمع فجأة صوت الجبلاوي يتكلم وقال له: «ما أقبح أن يطالب شاب جده العجوز بالعمل، والابن الحبيب هو من يعمل..» (2) وفهم من هذا أنه يجب عليه أن يسعى من أجل سعادة الناس جميعًا، فقرر أن يزور المساكين ليطرد عنهم العفاريت.

ثم يورد الكاتب قصة امرأة من قومه تدعى «ياسمينة» وهي امرأة زانية (وأطلق عليها اسم ياسمينة لجمالها الفتان) حيث اجتمع الناس في مظاهرة حاشدة وطالبوا بقتلها لأنها كانت تسكر وتتردد كثيراً على بيت أحد زعماء الحارة ويدعى «بيومي».

أشفق عليها «رفاعة» واقترح عليهم أن يتزوج منها ليستر عليها وينقذها من الموت. ثم أعلنت توبتها. وقالت له: «لن أنسى فضلك، اني مدينة لك بحياتي». فأجابها: يفاخرون دائمًا بأنهم من صلب أدهم، وفي نفس الوقت يباهون بالكبائر.. وما دام التخلص من العفاريت ميسوراً فما أقربنا من السعادة» (3)

وطلب منها أن تتخلص من عفريتها الا أنها رفضت طلبه وأرادت أن تبقى كما هي. ثم انقطع عن دكان النجارة ومضى يدعو من يصادفه كي يخلصه من عفريته فيحقق بذلك سعادة صافية لم يحلم بها من قبل. (في الانجيل كان يدعو للتخلص من الخطيئة). ثم توجه الى أم بخاطرها وطلب منها أن يطهرها من العفريت (لاحظ المصطلحات الانجيلية: السعادة، يطهر، المعلم، يخلص وينقذ).

وبعد مدة أخذ الفقراء يتوافدون عليه ليخلصهم من عفاريتهم وليبرأوا منها وصار يدعى في الحي بالمعلم رفاعة. واصطفى رفاعة من مرضاه أربعة وهم زكي وحسين وعلي وكريم اصطفاهم لصداقته فصاروا اخوة فانقلبوا الى رجال ذوي قلوب كبيرة. وكانوا يجتمعون في الخلاء عند صخرة هند ويتبادلون أحاديث المودة والصفاء، وصاروا سعداء لأنهم تخلصوا من العفاريت فتطهروا من الحقد والطمع والكراهية وسائر الشرور. وطلب منهم معلمهم أن يتعلموا الأسرار ليخلصوا المرضى من العفاريت، في حين كانت زوجته ياسمينة قد استمرت في علاقتها بفتوة الحارة «بيومي» وتمارس معه الزنا وأخذت تلتقي به ليلا وتدخل بيته من باب حديقته الخلفي الذي يفتح على الخلاء.

نجيب محفوظ

واجتمع الزعماء في أحد الأيام في بيت الناظر ويدعى ايهاب (وهو الزعيم الأكبر) (ولا أدري ان كان محفوظ يقصد به الامبراطور الروماني أم الممثل الروماني في بلاد الشام) وتم بحث أمر رفاعة الذي ذاع صيته وأصبح يطلق عليه اسم المعلم (وهي على وزن المفعل/ المخلّص ـ وهو مصطلح شائع في الديانة المسيحية) واتفقوا على أن يجدوا علاجًا لجنون رفاعة ابن شافعي النجار. وقد اعتبروا أن اتصاله بالواقف (صاحب الوقف ـ الجد الجبلاوي ـ أي الرب) انما هو جنون. «مارس نشاطه تحت سمعك وبصرك فلم تدرك له خطراً، وطبعًا لم تسمع عن مزاعمه عن الاتصال بالواقف» (4)..

وخرج رفاعة في أحد الأيام من حيه فصادفه الفتوة (الزعيم) بطيخة (في اعتقادي أن اختيار هذا الاسم جاء للسخرية من الشخصية ذاتها ـ ويريد محفوظ أن يخبرنا أنها شخصية تحمل رأسًا فارغة مثل البطيخة ـ متسرع في قراراته) فما أن ألقى رفاعة عليه التحية حتى لطمه لطمةً دفعته الى جدار الربع مترنحًا..واجتمع أهل الحي من الرجال والنساء على صراخ امرأة شاهدت المنظر وتصايح الناس في انزعاج وتعالت احتجاجات، وأخذ الطوب يتساقط أمام بطيخة ليمنعه من التقدم. وكانت هذه الحادثة بمثابة نقطة التحول في حياة رفاعة لأن الناظر رأى في تضامن الناس معه قوة تكفل الصمود أمام الفتوات. وعقد اجتماع طارئ في بيت الناظر واتفقوا على قتل رفاعة، في حين اتفق أنصار رفاعة على مساعدته على الهروب من فوق الأسطح والاختباء في بيت أحد أنصاره ويدعى كريم (من الكرم). وبعد هروبه خرجت زوجته «ياسمينة» الى الخلاء خفية وتسللت الى بيت الفتوة بيومي وأخبرته عن خطة الهروب بكل تفاصيلها.. ثم توجهت الى بيت كريم لتخفي عنهم آثار خيانتها (لاحظ التشابه القصصي ـ قصة القبض على المسيح وقصة القبض على رفاعة) ثم تناولوا العشاء وفي ساعات الفجر الأولى تمت مداهمة البيت وقبض على رفاعة وفرّ أنصاره واقتيد الى الحارة.. «وظلت عينا رفاعة مرفوعتين نحو البيت .تُرى هل يدري جده بحاله؟ ان كلمة منه تستطيع أن تنقذه من مخالب هؤلاء الجبارين وترد عنهم كيدهم. انه قادر على أن يسمعهم صوته كما أسمعه اياه في هذا المكان» (5).

وفي الخلاء «هوى بيومي بنبوته على رأسه بشدة فصرخ رفاعة صرخة عالية وهتف من أعماقه: «يا جبلاوي!»، وساد صمت لم تسمع خلاله الا الحشرجة. وأخذت الأيدي تحفر الأرض بقوة في الظلام.(6)

ولما غادر القتلة المكان اذا بأربعة أشباح تنهض قائمة من موضع غير بعيد من موقع الجريمة وكان هؤلاء تلاميذه وهم علي وكريم وحسين وزكي (لاحظ اختيار الأسماء يدل على طهارتهم واخلاصهم في العمل) تجمعوا حوله وأخذوا يزيلون الرمال براحاتهم ولما وجدوا جسده ارتفعت أصواتهم بالبكاء وتعاونوا على استخلاص الجثة من الرمال وبعد أن ردموا الحفرة حملوا الجثة الى المقبرة ثم وضعوها في جوف القبر. ثم همس كريم: «كانت حياتك حلمًا قصيراً، لكنها ملأت قلوبنا بالحب والنقاء». (7)

أما الأصحاب الأربعة فقد غادروا الحارة في حالة نفسية متوترة وعاشوا في أطراف الخلاء. « ولم يبق لهم من أمل في الحياة الا أن يتحدّوا موته باحياء رسالته» (8).

ولما انتشر نبأ قتل رفاعة هرع الناس للبحث عن جثته فلم يعثروا على شيء حتى الفتوات القتلة تسللوا في الليل وحفروا مدفنه على ضوء مشعل فلم يعثروا للجثة على أثر.

ويعرض علينا نجيب محفوظ بطريقته تضارب الآراء والعقائد واختلافها في نهاية عيسى عليه السلام فيقول في نهاية القصة: «وتوثب كل فريق للعمل على رأيه بايمان صادق . وتناقلت الحارة قصة رفاعة على حقيقتها التي كان يجهلها الأكثرون. وتنوقل أن جثته ظلت ملقاة في الخلاء حتى حملها الجبلاوي (الله) بنفسه فواراها التراب في حديقته الغناء.» (9). ثم يختم محفوظ القصة: «وحظي رفاعة في موته بما لم يكن يحلم به في حياته من التكريم والاجلال والحب حتى صار قصة باهرة يرددها كل لسان، وتتغنى بها الرباب، وبخاصة رفع الجبلاوي لجثته ودفنها في حديقته الغناء. وقد أجمع الرفاعيون (المسيحيون) على ذلك، كما أجمعوا على الولاء والتقديس لوالديه، وغالى منهم قوم فتجنبوا الزواج (المقصود بالرهبنة) حباً في محاكاته واستعادة لسيرته (10).

في اعتقادي أن الرسالة في هذه القصة يوجهها محفوظ للمسلمين والمسيحيين على حد سواء.

---

* كاتب من فلسطين

1. أولاد حارتنا ص 215
2. أولاد حارتنا ص 248
3. أولاد حارتنا ص 258
4. أولاد حارتنا ص 275
5. أولاد حارتنا ص 294
6. أولاد حارتنا ص 295
7. أولاد حارتنا ص 297
8. أولاد حارتنا ص 298
9. أولاد حارتنا ص 303
10. أولاد حارتنا ص 304

في دراسة الفن القصصي بالمغرب العربي

د. محمد غرناط*

■ يلاحظ القارئ في الدراسات الأدبية والنقدية التي كتبت في المغرب العربي حول الفن القصصي أنها تتعرض الى خصائص كثيرة مشتركة تجمع بين نواح متعددة تاريخية وفنية وثقافية. واذا كانت هذه الدراسات تتفق على صعوبة تحديد مسار تطور القصة القصيرة وتحديد مراحلها من حيث النشأة والتطور والاتجاهات، فانها تؤكد على وجود عناصر توحد بينها في الوقت الذي تعمل فيه على تجاوز هذه الصعوبات وتحاول رسم خارطة لتاريخ القصة القصيرة. فهذه العناصر التي نعثر عليها عند أحمد اليابوري، عبد الكريم غلاب، أحمد المديني، نجيب العوفي.. نجدها عند خليفة الركيبي في دراسته عن القصة الجزائرية القصيرة، وعند محمد صالح الجابري في دراسته حول الأدب التونسي وغيرهما.

ومن المظاهر المشتركة في الدراسات والأبحاث أنها تربط نشأة الفن القصصي بالحركة الوطنية التي أخذت على عاتقها تجديد مظاهر الحياة سياسيا وثقافيا، الأمر الذي كان له أثره على الحياة الأدبية في الأقطار المكونة للمغرب العربي الكبير، وهيأ للأدب ظروفاً جديدة سمحت بنشوء أنواع أدبية جديدة، كما سمحت بتجديد أشكال أدبية أخرى كانت معروفة في الثقافة العربية كالشعر والمسرح. واذا كان هذا العامل يعد مشتركا بين دول العالم العربي فان ما تتميز به أقطار المغرب العربي هو تزامن ظهور هذه الحركة بفضل ما عرفته من تنسيق على مستوى قياداتها وأعضائها البارزين. ولهذا شكلت المنطلق الفعلي لحركة التحديث في المجال الأدبي كما في مجالات أخرى، مما ترتب عنه حركة تجديدية واسعة في ميدان الأدب بمختلف أشكاله، ومن أبرز هذه الأشكال شكل القصة القصيرة الذي رافق تطور الحركة الوطنية في هذه البلدان وعكس بصورة جلية مشاكلها وعبر عن طموحاتها في اطار خدمة ما هو وطني على المستوى الفني.

وتشير الدراسات التي تناولت هذا الموضوع الى مظهر آخر مشترك بين أقطار المغرب العربي، ويتعلق الأمر بالوعي الأدبي الذي كان سائدا لدى شعوب المنطقة. فالنظرة التي كانت سائدة هي نظرة تحط من شأن القصة كلون أدبي وتعتبرها فنا دونيا. وقد كان للفقهاء والعلماء المحافظين دور في سيادة هذا الوعي وانتشاره بين الناس الذين عزفوا في البداية عن تلقي هذا اللون الابداعي، ولم يتمكنوا من تجاوز هذا العائق الا في الوقت الذي نجح فيه الكتاب من تطوير آليات التواصل مع القراء الذين ارتقى وعيهم وادراكهم لمفهوم القصة ولوظائفها الفنية والاجتماعية. وهذه الحقيقة يؤكد عليها الدارسون ويعتبرونها من الصعوبات التي اعترضت الفن القصصي في مراحله الأولى، بل اعترضت أيضا محاولات التجديد في مناحي الحياة الأدبية والثقافية الأخرى.

ومن القضايا التي يثيرها الباحثون في دراسة الفن القصصي بدول المغرب العربي قضية أساسية أخرى يكاد أن يكون التاريخ الذي يؤطرها واحدا، وهي قضية الاتصال، من ناحية بالمشرق العربي، ومن ناحية أخرى الاتصال بأوروبا. فالدراسات والأبحاث الأدبية تجمع على السبق الذي حققه المشرق في هذا المجال لأسباب تاريخية محددة. وكان لاتصاله المبكر بالحضارة الغربية أثر واضح في تحقيق تطورات هامة في مجال الكتابة القصصية منذ المنتصف الثاني للقرن التاسع عشر.أما دول المغرب العربي التي تأخر فيها نشوء هذا اللون من الكتابة فانها جميعا أفادت من تجربة المشرق من خلال الاطلاع على تجاربه في هذا النطاق. واذا كان هذا الاتصال تختلف درجاته من قطر الى آخر، فالمؤكد أنه تحقق فيها جميعا وحقق أهدافه وظهرت نتائجه في كل الأقطار المكونة للمغرب العربي. وقد انطلقت هذه الحركة مع شعراء الحركة الوطنية كحركة ذات تنظيم قائم على مبادئ فكرية وفلسفية واضحة، وهو ما تحقق بالمغرب الأقصى منذ أوائل الثلاثينيات، الفترة التي تعتبر في تاريخ المغرب المعاصر الانطلاقة الفعلية لحركة التحديث والتجديد على المستوى الثقافي وأيضا على المستوى السياسي، وهما خطان متوازيان في النشاط الوطني الذي عرفه المغرب كما عرفته أقطار المغرب العربي خلال القرن العشرين.

ومن جهة أخرى انفتحت هذه الدول على الغرب، واستفادت من نماذجه الأدبية والثقافية وما تحقق فيها من تطور. وقد كان لهذا الاتصال دور أساسي في النهضة الثقافية عامة، وفي نشأة وتطور الفن القصصي في بلدان المغرب العربي الكبير بصفة خاصة. وهذا عامل مشترك يطرحه دارسو فن القصة في هذه الأقطار. وفي هذا السياق، تشير الأبحاث الى ظاهرة مشتركة تتمثل في التأثير الواسع للغة الفرنسية التي عمل الاستعمار على نشرها ضمن سياسته التعليمية الاستعمارية وكان من نتائج هذا التأثير أن نشأ اتجاه في الكتابة القصصية توسل اللغة الأجنبية في التعبير. وفضلا عن هذا تسبب في نشوء صراع لغوي محتدم بين اللغتين العربية والفرنسية، مما دفع بالوطنيين الى انتهاج أساليبهم الحمائية لصون اللغة العربية. وكانت حظوظ النجاح متفاوتة في ما تحقق من نتائج لخدمة اللغة العربية، وبالتالي الثقافة والأدب العربيين بالمنطقة. وفي هذا الباب، لا بد من الاشارة الى ما تؤكده الأبحاث أن دور المشرق العربي، خاصة مصر في هذه المرحلة، كان قويا بحيث ساهم مساهمة فعالة في اغناء ثقافة وفكر وأدب المغرب العربي عبر وسائل اتصال مختلفة: كتب، مجلات، بعثات.. وعبر كتاب ومفكرين مرموقين كطه حسين، العقاد، المنفلوطي، جبران، نعيمة.. وغيرهم.

ونضيف الى المظاهر السابقة مظهرا آخر تناولته هذه الدراسات، وهو ظهور الصحافة في دول المغرب العربي. فقد نشأت الصحافة في ظروف مماثلة، وعانت خلال الاستعمار من مشاكل واحدة ورسمت لنفسها أهدافا مشتركة. فالصحف التي ظهرت خاصة باللغة العربية عملت على نشر الوعي والتحسيس بالقضايا الوطنية. كما عملت الى جانب ذلك على تحديث الميدان الثقافي والأدبي. ولعل من أهم ما حققته الصحافة في هذا السياق هو تطويع اللغة العربية وتجديد الأسلوب النثري وفق ما تقتضيه الكتابة الصحافية التي تتوجه بخطاباتها الى قطاعات عريضة من القراء تختلف مستوياتها الثقافية. وكان لهذا تأثير له أهمية قصوى على الفن القصصي في نشأته بالمغرب العربي، علما بأن الصحف في هذه البلدان كانت تعاني من منافسة قوية من الصحف التي أنشأها الاستعمار، أو الصحف الموالية له والتي أسسها التابعون له والمدافعون عن مصالحه ضد الوطن ومكوناته ورموزه. وعلى الرغم من ذلك ومن صعوبات أخرى يثيرها الباحثون فقد تمكنت الصحافة من المساهمة في تحقيق نهضة أدبية تطورت مع تطور العمل الصحافي في أقطار المغرب العربي. وهذا ما نلاحظه مثلا في التجربة التونسية، بحيث أنه منذ أوائل الثلاثينيات أخذت الصحف تنشر نصوصا قصصية موضوعة أو مترجمة، بل ان احدى الصحف (وهي العالم الأدبي) أسسها المثقف التونسي زين العابدين السويسي خصصت سنة 1932 عددا خاصا بالفن القصصي والروائي ابداعا ونقدا وتنظيرا. وكذلك في المغرب، فقد استطاعت الصحافة رغم المضايقات التي لاقتها من قبل الاستعمار أن تؤسس لنفسها اطارا وتوجها محددين استطاعت من خلالهما منذ أواسط الثلاثينيات، وعلى امتداد العقود التي تلت، أن تقدم للأدب والقصة القصيرة خاصة خدمات كبرى كمجلة «السلام» للفقيه محمد داوود، و«رسالة المغرب» التي أسسها حزب الاستقلال، وغيرهما من المجلات التي كونت العناصر الأولى للنهضة الأدبية والفكرية في المغرب.

والى جانب هذه العناصر نشير الى عنصر آخر ضمن هذه العناصر المشتركة، وهو عامل الترجمة. فدول المغرب العربي عرفت حركة ترجمة اتسعت تدريجيا وشملت شيئا فشيئا الفن القصصي. وعلى غرار ما حدث في الشرق العربي، بدءا من لبنان وفلسطين الى مصر وسورية والعراق، فان الأقطار المكونة للمغرب العربي بدورها عرفت حركة ترجمة للأعمال الأدبية القصصية، اضافة الى ما اطلعت عليه من نماذج مترجمة وافدة من الشرق أسهمت في تطوير الوعي الفني بخصائص الابداع القصصي. ومن ناحية أخرى وجهت قراء الصحف الى الاهتمام بهذا النوع الأدبي والاقبال عليه في شكله وصيغته الجديدة ومعرفة أهميته ووظائفه. ومعلوم أن الترجمة شملت أنواعا أدبية أخرى خاصة الأعمال المسرحية التي بدأت في المشرق في العقد الأخير من القرن التاسع عشر مع ترجمة مسرحيات لفولتير وشكسبير وموليير، وفي نفس الوقت ترجمة الأعمال القصصية والروائية التي بدأت مع جيل الرواد كسليم البستاني، كما شملت حقولاً ثقافية وفكرية أخرى. وقد كان لهذه الترجمات بدورها آثارها في ترسيخ مفهوم القصة القصيرة والوعي بآلياته الفنية والأسلوبية مما فتح منذ وقت مبكر آفاق التطور للفن القصصي.

ان هذه العناصر وعناصر أخرى، أبداع، لغة، دين، تاريخ، جغرافية.. نجدها عند معظم الباحثين وهم يطرحون قضايا تتعلق بنشأة الفن القصصي في أقطار المغرب العربي. وهي عناصر تعكس على هذا المستوى التقارب القائم بين هذه الأقطار وعن المشترك الحضاري والتاريخي بينها على الرغم مما نلاحظه من خصائص قد تميز هذا القطر عن الآخر، أو هذا الكاتب عن كاتب آخر، غير أن الجوهر يبقى مشتركا ومتقاربا كما نلاحظ من خلال عدد كبير من الأبحاث التي تناولت هذا الموضوع، ليس فقط على المستوى الذي عرضنا له، وانما أيضا على مستويات أخرى من تطور الكتابة القصصية أو الكتابة الأدبية بصفة عامة.

---

* كاتب من المغرب

«صراع الايديولوجيا في القضية الفلسطينية ـ مزالق الوعي» جديد الناقد سليم النجار

عمان ـ «القدس العربي» ـ من اياد كنعان:

صدر مؤخرا في العاصمة الاردنية عمان عن دار ورد، كتاب الصحفي والناقد الاردني ـ الفلسطيني سليم النجار تحت عنوان (صراع الايديولوجيا في القضية الفلسطينية ـ مزالق الوعي)، جاء الكتاب في خمس وخمسين صفحة من القطع المتوسط، تناول فيه الباحث قضية الايديولوجيا ودورها في توجيه مسار القضية الفلسطينية، سواء ما تعلق منها بدورها التاريخي في فرز (تيارات) التحرر الوطني الفلسطيني، او بدورها الآني الذي تجذر نتيجة الاحتلال الحاصل في موازين الصراع الفلسطيني الاسرائيلي، نتيجة لتعثر عملية السلام او ربما نهايتها كليا، او موازين الصراع الفلسطيني الفلسطيني، وخاصة مع نفاذ حماس الى الحكومة والمجلس التشريعي، وتلك الازمة التي ترتبت على اقصاء حركة فتح ودورها التاريخي في ادارة الصراع الفلسطيني الاسرائيلي، وتجلياته السياسية المختلفه.

انطلق الناقد سليم النجار في كتابه حول الايديولوجيا ودورها في تحديد مسار القضية الفلسطينية، من تلك الاشكالية القائمة على ارتباط مفهوم الايديولوجيا وتجلياتها المختلفة بالعمل السياسي والحركة الوطنية الفلسطينية، واعتبارها جزءا لا يتجزأ منه، ومن ثم تحول المشروع الوطني الفلسطيني من مشروع تحرير وطن مغتصب، الى مشروع بناء دولة (مستقلة)، على جزء يسير من الارض الفلسطينية التاريخية، او بتعبير آخر الانتقال من (ايديولوجيا الوطن) الى (ايديولوجيا الدولة)، وما يرادفه من انتقال من استراتيجية التحرير الى استراتيجية الاستقلال، هذا الامر الذي انتج مأزقا ايديولوجيا وسياسيا وفكريا واقتصاديا لم يخرج منه الوعي الفلسطيني بعد، وما صاحب ذلك من تحول في انماط التفكير والصراع، او بتعبير آخر ما نتج عن تحول الايديولوجي الى سياسي، او العكس اي تحول السياسي الى ايديولوجي.

استهل الناقد النجار كتابه بطرح عدة تساؤلات حاول الاجابة عنها وان بدرجات متفاوتة، وهي:

ـ اين يقع الفكر السياسي الفلسطيني من التأثر بالايديولوجيا في الصراع مع اسرائيل؟

ـ هل استطاع الفكر السياسي الفلسطيني تحديد مفهوم الايديولوجيا، في ظل محاولة البشر ان يمدوا جسور تواصل بينهم؟

ـ اما السؤال الاخير فهو، اين يكمن خطأ الايديولوجيات التي تبنتها فصائل العمل الفلسطيني؟

انتهج الناقد سليم النجار اسلوب النص المفتوح، الذي يحتمل تأويلات عدة، محاولا الولوج الى ظاهرة الايديولوجيا في العمل الفلسطيني، بمختلف المشارب السياسية والوطنية والقومية والماركسية والاسلامية، ومحاولة قراءة هذه الظاهرة نقديا، بعيدا عن فخ الاحكام المسبقة التي ينزلق فيها الكثير من مثقفينا وكتابنا العرب والفلسطينيين في تحليلهم للقضية الفلسطينية وتجلياتها الفكرية والسياسية المختلفة.

تنبع اهمية البحث الذي طرحه سليم النجار في كتابه (صراع الايديولوجيا في القضية الفلسطينية ـ مزالق الوعي)، من تصاعد اللغط الدائر حول مدى هيمنة الايديولوجيات المختلفة على القرار الفلسطيني الحالي، ودورها في تحديد المسارات المستقبلية للقضية الفلسطينية، خاصة في ظل تأزم عملية السلام، وصعود حماس الى اعلى سلم السلطة الوطنية الفلسطينية، اضف الى هذا كله التحول الجذري في انماط المواجهة مع الاخر، من انماط محددة الاهداف والاليات والبرامج في اطار جغرافي محدود، تستند في مجملها الى خلفيات علمانية، الى انماط مواجهة ذات صبغة دينية عقائدية راديكالية، تؤمن بالمواجهة المفتوحة مع الاخر، مع كل ما يترتب على ذلك من مجازفة وفتح باب الاحتمالات على مصراعيه.

قـــص

أجندة

مصطفى ذكري*

■ أخذتُ أجندة التليفونات من على رف المكتبة المُلحقة بالسرير. كان الشتاء في الخارج، أي أن الثانية بعد منتصف الليل ليس بالوقت المُبكر. لو كان الفصل صيفاً، لكانت الثانية بعد منتصف الليل في مقام الثانية عشرة ليلاً. الا أن الشتاء جعل الثانية بعد منتصف الليل في مقام الرابعة صباحاً. مرتْ أسماء عديدة تحت عينيّ المُجهدتين.

أخذتُ أجندة تليفونات أخرى. كنتُ أدون أرقام التليفونات في أكثر من أجندة. فكلما زهقتْ روحي من لون وشكل واحدة اشتريتُ أخرى جديدة آخذاً بحماس البداية نقل الأرقام من الأجندة القديمة الى الأجندة الجديدة، ثم يأتي التوقف في منتصف التدوين بسبب فتور لا أدري كنهه. والحاصل في النهاية، هو تراكم أجندات كثيرة، بألوان وأشكال مختلفة تنم عن ذوق مضطرب، وتكرار أرقام، فقط لأنها جاءت في التدوين عند البداية الحماسية، ولأنني لا أدون الأسماء حسب الترتيب الأبجدي، فقد كانت كل أجندة تحتوي على رقمين أو ثلاثة سلموا من التكرار. هكذا تكدستْ الأجندات مُتفاوتة الأحجام فوق رف المكتبة فارضةً عليّ وجوداً ثقيلاً. كانت أنصاف صفحاتها البيضاء ادانة صامتة خرساء تطبع حياةً كاملةً بالنقص وعدم الاكتمال. لطالما قطعتُ البدايات بعزمٍ وأملٍ مُهملاً تنظيم الطاقة التي تنفد بعد وقتٍ قصير، بينما الطريق ما زال طويلاً، والنهاية هناك في البعيد.

شقتْ عليّ الوحدة، والليل بزجاج النافذة، والساعة اقتربتْ من الرابعة صباحاً.

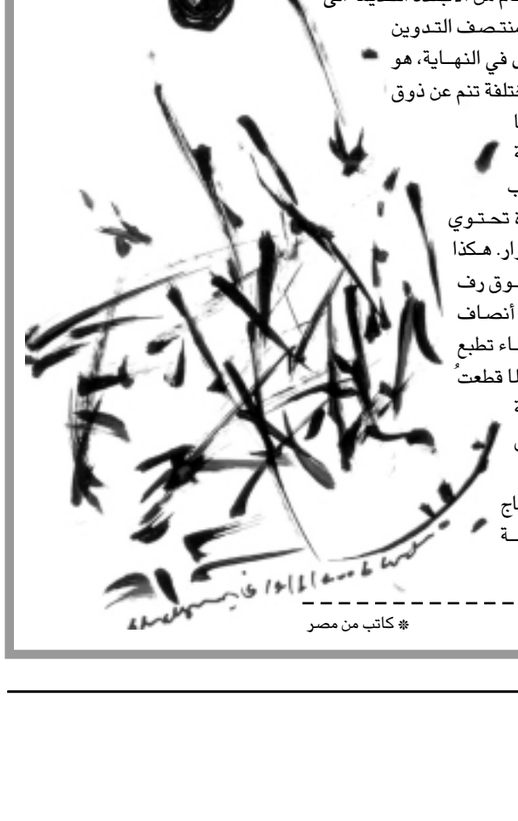

---

* كاتب من مصر